**السياسة الخارجية الأمريكية في عهد إدارة دونالد ترامب**

الكاتب: د. حسن أيوب

رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية

**المقدمة**

توجد صعوبة موضوعية تكمن في محاولة تحليل وفهم السياسة الخارجية لإدارة (دونالد ترامب) نظرا لما تتسم به حتى اللحظة من تذبذب يصل في بعض الحالات إلى حد التناقض والتضارب. وتضيف شخصية ترامب وأسلوبه غير المألوف تعقيدا من نوع خاص في هذا السياق. إلا أنه وبقدر ما تبدو الظواهر أمامنا في حالة من الفوضى، فإن البحث عن مبدأ ينظم فهمنا لهايصبح أمرا ملحا. إن هذه المهمة تتطلب جهدا خاصا للتخلص من ضوضاء المشهد، وتمظهراته الثانوية في محاولة للكشف عن العوامل الجوهرية المتشابكة التي تقترب من تفسير ذلك الكم المروع من العدوانية والتنمرالظاهر في سياسات الإدارة الأمريكية الراهنة، وتلك التناقضات في الاستراتيجية، أو لنقل غياب مثل هذه الاستراتيجية.

نحاول في هذه الورقة المتواضعة أن نسهم في فهم وتحليل السياسة الخارجية لقريق (دونالد ترامب) منطلقين أولا من توضيح الأساس الدستوري لصنع السياسة الخارجية الأمريكية، وتداخله مع الاعتبارات السياسية. ومن ثم نحاول اعتماد مبدأ ناظم لفهمنا لهذه السياسة، ينقلنا إلى فهم عوامل القوة والاقتدار التي تمتلكها وتوظفها واشنطن في سياق دولي له خصائصه الراهنة بأوجه تشابهها واختلافها مع النظام الدولي الذي ساد حقبة الحرب الباردة. ونختم بربط أبرز معالم هذه السياسة بما يمكن وصفه بدبلوماسية الاستعلاء ذات الارتباط الوثيق بشخصية ترامب وأركان إدارته والأيديولوجيا العنصرية التي تحركها.

(1)

**التوازن الصعب بين الدستور والسياسة**

يمكن أن تكون نقطة الانطلاق في فهم السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في عهد إدارة الرئيس الحالي (دونالد ترامب) هي الوقوف على ذلك التوازن المعقد في صنع هذه السياسة بين القواعد الدستورية والاعتبارات السياسية.

يخلط الكثير من الناس بين ما يحسب باعتباره تفضيلات وأولويات الرئيس في النظام السياسي الأمريكي، وبين ما تمليه المؤسسة؛ أي الدولة ومصالحها العليا. هنا نجد تطرفين: الأول، هو اعتبار الإدارة (أي الرئيس وطاقمه بما في ذلك وزارة الخارجية والهيئات ذات العلاقة) المسؤول الأول والأخير عن صنع السياسة الخارجية وتحديد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وتحالفاتها الدولية. والثاني يرى في الإدارة والرئيس مجرد أدوات تنفذ ما تراه المؤسسة الرسمية؛ أي الدولة ملائما لمصالحها.

في حقيقة الأمر فإن السياسة الخارجية الأمريكية تحددها عوامل هي خليط بين الأمرين يميل من الناحية الدستورية إلى جانب الإدارة والرئيس باعتباره يجسد إرادة الأمة ومصالحها العليا بعيدا عن السياسات الحزبية، وهوالقائد الأعلى للقوات المسلحة فيها. مع ذلك فإن الدستور الأمريكي يمنح للسلطة التشريعية -وهي في هذه الحالة تمثل المؤسسة الرسمية أو الدولة- حق الاعتراض على سياسات الرئيس، والقدرة على تعطيلها، بما في ذلك حق الاعتراض على التعيينات السيادية، ومن بينها على سبيل المثال منصب "سكرتيري الدولة" (أي الوزراء) الذين بمنح الدستور الحق للرئيس بتعيينهم، لكن هذا مشروط بموافقة اللجان المختصة في الكونغرس. بذلك تكون السياسة الخارجية للولايات المتحدة هي مخرج خليط بين تفضيلات ورؤية الرئيس وطاقمه (بما في ذلك المستشارين الذي له حق تعيينهم دون الرجوع للكونغرس)، وبين المصالح الثابتة للولايات المتحدة كدولة ومؤسسة رسمية. هذا يعني بأن السياسة الخارجية تتعلق غالبا بتوازنات ومقايضات داخلية اعتمادا على طبيعة القضية المطروحة، وأهميتها الاستراتيجية أو الجيو-سياسية للدولة من جهة، وقوة وخبرات الرئيس من جهة ثانية. هذاالأمر يمنح هامشا واسعا لدور القوى فوق-البرلمانية المنظمة مثل مجموعات الضغط والمصالح للتأثير على قرارات السياسة الخارجية من خلال الإدارة والأكثر من خلال الكونغرس. إن خبرة الرئيس وقوته حاسمة في هذا السياق خاصة بأن الغالبية الساحقة من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية يأتون للرئاسة من مجلس الشيوخ.

من المفيد تقديم مثال يتعلق بإعلان الحرب من الناحيتين الدرستورية والسياسيةيوضح هذه الحالة المركبة: ينص الدستور الأمريكي في المادة (1) البند الثامن على أن"للكونغرس صلاحية إعلان الحرب"، بينما تقول الماد (2) البند الثاني على أن الرئيس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة والبحرية". أي ان الكونغرس ليس له صلاحية قيادة الجيش، كما ليس للرئيس صلاحية إعلان الحرب. بالرغم من ذلك فقد أعلن رؤساء سابقون الحرب دون الرجوع للكونغرس. إدارة ترامب من هذه الزاوية ليست الاستثناء أبدا في إعلانها الحرب على "داعش" أو في استهدافها العسكري لسوريا. بل إن إدارة ترامب تستغل التشريع الشهير الذي أعقب هجمات 11 سبتمبر 2001 والذي يمنح للرئيس صلاحيات واسعة وغامضة في هذا الشأن. مع ذلك فإن عددا من المشرعين في الكونغرس لا يقبل مثل هذا الاستخدام باعتبار أنه لا يوجد لا لداعش ولا للنظام السوري صلة بهجمات العام [[1]](#endnote-1)2001. من الناحية السياسية فإن الكونغرس سيحجم عن اتخاذ قرار بإعلان الحرب بخاصة عندما تكون انتخابات تجديده النصفي على الأبواب. لقد توجه الرئيس السابق (باراك أوباما) للكونغرس للحصول على قانون يخوله إعلان الحرب على سوريا، ولكن الأخير لم يقم حتى بمناقشة القانون، وتراجع الرئيس عن تهديده باستخدام القوة في سوريا. بينما لم يذهب ترامب للكونغرس لتشريع الهجمات على ذات البلد، وبدوره لم يقم الكونغرس بالاعتراض. وفي الوقت الراهن تشهد علاقة الرئيس مع الكونغرس أزمة تشريعية بحكم اقتراب انتخابات التجديد النصفي؛ إذ لم يستطع الرئيس طرح عدة مشاريع قوانين من بينها قانون تقييد الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والمرحلة الثانية من قانون الضرائب الجديد.في مثل هذه الاوضاع فإن أي مشروع قانون من شأنه إن يحدث استقطابات سياسية حزبية سيتجاهله الكونغرس[[2]](#endnote-2). الاعتبارات السياسية والحزبية في الحالتين تجاهلت الدستور.إذن لا بد لنا من معالجات من طبيعة متعددة المستويات لفهم السياسة الخارجية الأمريكية، وبخاصة عندما يدور الحديث عن إدارة ترامب بكل مظاهر عدم الاتزان، والمشهدية وغياب الرؤية الاستراتيجية التي تتسم بها.

(2)

**تأطير فهم السياسة الخارجية لفريق ترمب**

يستندالمختصون في السياسة الخارجية وشؤون النظام الدولي، وبخاصة ما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية إلى فهم وتحليل سياساتهاالخارجية من خلال مداخل نظرية محددة. فيميز الدارسون والمحللون مثلا بين سياسات الإدارات المتعاقبة من زاوية التعارض بين "الواقعية"  و"الليبرالية". في سياق هذا التعارض تعتبر السياسة الخارجية لإدارة (بيل كلينتون) "الديمقراطية" أكثر ميلا لليبرالية، وقد كانت محل انتقاد "الجمهوريين" كونها حسب رأيهم ورطت واشنطن في تدخلات لا علاقة لها بمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، بقدر ما تستجيب لتوجهات كلينتون. لكن لم تلبث إدارة جورج بوش الابن إلا أن انتهت إلى التدخل لأسباب لا تقل "ليبرالية" وربما "مثالية" عن تلك التي ميزت إدارة كلينتون. بدورها فإن إدارة الرئيس أوباما أظهرت سجلا مختلطا من تجنب التدخل، إلى التدخل الحذر.

ويأخذ أنصار المدرسة الواقعية على إدارة أوبما بأنها لم تتصرف بما يكفي من "الواقعية" مع التحديات التي فرضتها تحولات السياسة الدولية على واشنطن مثل تعاظم قوة روسيا، أو التقارب الروسي الصيني. في سياق هذه الانتقادات استُحضرت قدرات ومواهب واحد من أهم رموز "الواقعية" في السياسة الخارجية الأمريكية وهو جورج كينان مصمم استراتيجية الاحتواء.[[3]](#endnote-3) هذا التقدير يشير إلى اعتقاد واسع في أوساط صانعي السياسة الخارجية الأمريكية مفاده بأن حالة النظام الدولي الراهن يشبه إلى حد معين حالة الحرب الباردة، الأمر الذي يتطلب صياغة محددة للدور المتصور لواشنطن عبر العالم، وبخاصة في مناطقه الأكثر أهمية وحساسية للمصالح المدعاة لأمريكافي ظل ما يعتبر تحد جدي من قبل روسيا والصين لهذه المصالح عبر قوس المواجهة الدائرة مع روسيا بدءا من بحر البلطيق، مرورا بالبحر الأسود وإيران وليس انتهاءا بسوريا.

فهل تمتلك إدارة ترامب تصورا محددا لدور أمريكا في النظام الدولي الحالي يتجاوز الافتراض المسبق لدى كل الإدارات بأن أمريكاهي "أمة لا غنى للعالم عنها"بما تجسده من قيم ومبادئ؟ فتحويل هذا الشعار إلى سياسات محددة وواضحة يبنى على فهم الإدارة لقوتها، ومدى استعدادها لتحويل هذه القوة إلى اقتدار وفعل في مواجهة القوى الدولية التي تشكل تحديا لهامن جهة، وإلى وإلى تقدير الإدارة الأمريكية للفرص وللكلف والتحالفات القائمة في النظام الدولي الراهن.

(3)

**النظام الدولي الراهن، وخلق توازنات جديدة**

ثمة ما يبرر القول بأن أمريكا لا تزال قوة عظمى ذات نفوذ هائل في السياسة الدولية من حيث أبرز عوامل القوة: الاقتصادية والعسكرية. إلا أن هذه القوة لم تعد كافية في ظل وجود قوى صاعدة على الحلبة الدولية كما يشير كل من (جوزيف ناي ، وجوزيف ستيغلتز)[[4]](#endnote-4)، الأمر الذي يشير إلى أن النظام الدولي الحالي يعيش حالة من السيولة واللاتحديد من حيث القطبية وغياب أي من حالات التوازن التي تأتي معها قواعد السلوك الدولي التي تضبط علاقات القوى العظمى وحلفائها. استنادا إلى هذا التقدير فإن السلوك الخارجي لإدارة ترامب يعكس حالة التشابه والاختلاف التي يعيشها النظام الدولي الراهن إذا ما قورن بحقبة الحرب الباردة.

لعل أبرز مظاهر هذا السلوك هو التوجهات الصقرية لإدارة ترامب في الشأنين الروسي والإيراني، والتي تتبلور بشكل عنيف على الساحة الشرق أوسطية عموما وفي سوريا بشكل خاص. تقدم إدارة ترامب سياساتها في هذا الصدد بما هي معكوس -بل نقيض- سياسات الإدارة السابقة لباراك أوباما، وبما يعكس فهمها للنظام الدولي الحالي كميدان حرب باردة من نوع مختلف تتطلب فرض ميزان قوى جديد يتم فيه وضع حد لقدرات القوى الصاعدة في سعيها لاحتلال مكانة قوى عظمى.

في هذا السياق تبرر إدارة ترامب سياساتها الخارجية بالادعاء القائل بأن إدارة أوباما "الضعيفة" قد عرضت مصالح الولايات المتحدة وقدرتها على الفعل والردع للتاكل، بخاصة تجاه كل من إيران وروسيا. فلا يكاد يتكلم الرئيس (دونالد ترامب) عن منطقة الشرق الأوسط إلا ويكرر انتقاده للاتفاق النووي مع إيران معتبرا إياه جائزة للسلوك الإيراني التخريبي في المنطقة. يربط (ترامب) بين بقاء القوات الأمريكية في سوريا وبين منع "وصول إيران إلى البحر المتوسط"؛ هذا ما قاله في مؤتمره الصحفي مع الرئيس الفرنسي في 24/4/2018. فقد شدد ترامب "على أن الإدارة الأمريكية الحالية لن تكرر أخطاء الإدارة السابقة وستواصل حملة الضغوط على إيران، مؤكدا أن بصمات إيران تظهر مع كل مشكلة يعيشها الإقليم" [[5]](#endnote-5)، وهو الموقف الذي قاد إلى إعلان انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي والعودة إلى لنهج العقوبات ضد إيران.

يدعي الجمهوريون بأن إحجام إدارة أوباما عن التحرك الفعال والحازم لكبح اندفاعات روسيا في جوارها الإقليمي مثلما حدث في جورجيا وشبه جزيرة القرم، وتدخلاتها في دول البلطيق، وفي الشرق الأوسط، وبخاصة في سوريا ودورها في الملف النووي الإيراني، قد شجع روسيا على مواصلة نهجها في تحدي نفوذ ومصالح الولايات المتحدة وحلفائها. لم يكن كافيا بالنسبة لباراك أوباما ذلك التبرير المعمول به منذ عقود في واشنطن لاستخدام القوة العسكرية والذي يقول بأن على أمريكا أن تترجم تهديداتها إلى فعل لكي لا تخسر مصداقيتها. يقول أوباما في مقابلته الشهيرة مع مجلة "الأتلانتيك" بأنه ليس كافيا أبدا اللجوء للعمل العسكري بكل ما يترتب عليه من نتائج قاسية لمجرد إثبات بأننا إذا قلنا فعلنا [[6]](#endnote-6). من هذه الزاوية فإن (ترامب) ، وبعكس (أوباما) لا يريد فقط أن لا يترك مجالا للشك بأنه إذا قال فعل ما دام قد وضع خطوطا حمراء للنظام السوري[[7]](#endnote-7)، بل يريد توجيه رسالة لروسيا بأن واشنطن اليوم ليست كأمس.

تبلور هذا النهج حتى اللحظة على شكل هجومين على سوريا: الهجوم الصاروخي الأمريكي المنفرد العام الماضي على قاعدة "الشعيرات" والذي أخذ ذات الطابع الاني؛ والهجوم الأخير بالشراكة مع بريطانيا وفرنسا. وفي الحالتين اتسم العمل بالسرعة والمشهدية؛ إي هجوم سريع ولمرة واحدة ينتهي بإلإعلان الشهير: "تمت المهمة" (ميشين أكومبليشد) لإظهار بأن واشنطن في ظل إدارة ترامب إذا قالت فعلت، وبأنها تضع الخطوط الحمراء التي لا ينبغي تخطيها. هذا المسلك الأمريكي ربما يجد تفسيره في اندفاعات روسيا لتثبيت نظام علاقات دولية order يعترف بها كقوة عظمى.

لا تخفي موسكو عزمها على خلق توازن جديد للقوى في النظام العالمي، وهو ما عبر عنه الرئيس فلاديمير بوتين أكثر من مرة. فعلى سبيل المثال أشار بوتين في أواخر العام 2016 بأن بلاده " ستواصل القيام بكل ما هو ضروري من أجل ضمان التوازن الاستراتيجي للقوى"، واصفا محاولات تغيير هذا النظام أو الإخلال به، بأنها "خطيرة للغاية".وذكَّر بأن هذا التوازن الاستراتيجي الذي قام في أواخر الأربعينيات وفي الخمسينيات من القرن الماضي، جنّب العالم اندلاع صراعات عسكرية كبيرة [[8]](#endnote-8). بقدر ما يمكن أن نقرأه في هذه المواجهة من معالم للحرب الباردة فبين تلك وهذه فوارق جوهرية لا يتسع المقام هنا لذكرها، أقلها هي عدم إقرار الولايات المتحدة الأمريكية بأن روسيا قوة عظمى، أو على الأقل قوة لها مصالح عالمية يجب الاعتراف بها. لقد تعززت نزعة الاستخفاف بقوة روسيا وبالنظام الدولي ومؤسساته التي كانت تستمد جزءا كبيرا من حضورها في سياق توازنات الحرب الباردة، بفعل خيارات دونالد ترامب لطاقم إدارته، ونهجه الدبلوماسي العدواني.

(4)

**دبلوماسية الاستعلاء والتنمر**

 تظهر هذه الإدارة نزوعا مفرطا للإحساس بالتفوق والاكتفاء بالذات يتجاوز نزعة "الانعزال" المعروفة في التاريخ الأمريكي نحو نمط من الشوفينية العدوانية لكل ما هو غير أمريكي أبيض. لقد كانت أولى خطوات هذه الإدارة التنصل من اتفاقيات دولية في ميادين التجارة الحرة والبيئة والعلاقات الدولية مثلما هو معروف. تترجم هذه السياسات بصورة متطرفة وخطيرة شعار ترامب الانتخابي "أمريكا أولا"، والذي يتعزز بنزعة الازدراء والاستخفاف بالقانون الدولي والمؤسسات الدولية.

من ذلك أيضا مغامرات واشنطن في الخليج فيما يتعلق بالأزمة القطرية والحرب في اليمن. في ذات السياق جاء قرار ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل بالضد من موقف كل حلفاء واشنطن الدوليين وخصومها على السواء، مما يشكل خلطا في الأوراق وإرباكا للقواعد الناظمة للسياسة الدولية في مرحلة يفتقد فيها النظام الدولي حالة الاستقرار والتوازن.
لقد تفوقت هذ الإدارة على إدارة جورج بوش الابن في ازدرائها للمنظمات الدولية والقانون الدولي. وهذا ينسجم تماما مع إحساسها العميق بأنها تقف في جانب الخير والحق حتى لو وقف العالم كله ضدها فإنها ستلجأ للمزيد من القوة حيث لا تنجح القوة. إذن ليس من الغريب أن تبدأ "نيكي هالي" وظيفتها بالتلويح بأنها ستضرب بالحذاء كل من سيجرؤ على انتقاد أو ملاحقة "اسرائيل" في الأمم المتحدة، وتنتهي إلى تهديد دول العالم التي ستعترض على قرارات إدراة ترامب. إنها دبلوماسية الاستعلاء والتنمُر التي تجد تعبيرا فظا في تهديد ترامب بقطع المساعدات المالية عن تلك الدول "التي تأخذ مالنا، وتصوت ضدنا" حسب تعبيره. هذه مرحلة أشد تشوها من شعار بوش الابن: "إما معي أوضدي"، وتعكس إلى حد كبير شخصية (دونالد ترامب) الإشكالية، وأسلوبه الشخصي الفظ الذي يبدو كمغناطيس مشاكل.

تعصف برئيس الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقات فدرالية، وتحيط حالة من عدم الاتزان إدارته تشهد عليها التغييرات المتلاحقه في طاقم إدارته، وشجاراته العلنية مع أقرب مستشاريه المستقيلين أو المقالين، وهجومه على وسائل الإعلام ومكتب التحقيقات الفدرالية، إلى الحد الذي دفع بالعديد من أعلام السياسة والرأي في أمريكا لاتهام الرجل بتهديد الديمقراطية الأمريكية والاستقواء على قوانينها[[9]](#endnote-9).

تبقى سمة عدم الاستقرار والتأرجح في السياسات وبخاصة الخارجية علامة بارزة في سلوك هذه الإدارة منذ تولي (ترامب) للرئاسة. وربما دفعته هذه المسألة إلى استقدام عناصر رئيسية للإدارة تتماشى تماما مع سياساته. فقد انضم إلى إدارته مؤخرا كل من (جون بولتون) كمستشار للأمن القومي، و(مايك بومبيو) كوزير للخارجية مما يعزز من التوجهات العنيفة والتفردية لواشنطن بحكم ما يعرف عن الرجلين من يمينية مفرطة، في ظل إقالة وزير الخارجية (ريكس تيلرسون) الذ كان على خلافات مع الرئيس ترامب حول العديد من قضايا السياسة الخارجية ومن بينها الموقف من الملف النووي الإيراني. تعتبر التعيينات الجديدة أخبارا جيدة بالنسبة لبعض حلفاء واشنطن الإقليميين، وبخاصة "اسرائيل" فقدوم الرجلين إلى الإدارة بما يحملاه من عداء شديد لإيران وللإخوان المسلمين وما يعرف بمحور الممانعة يعني بأن إدارة ترامب ستكون بصدد مواقف أكثر تشددا تجاه هذه الأطراف حتى لو تطلب الأمر اللجوء للعمل العسكري مثلما حدث في سوريا وبمعزل عن القانون الدولي والمنظمات الدولية. إن هذا الميل الفظ للاستعلاء والتنمر سيتعزز أكثر فأكثر في ظل وجود شخصيات مركزية في الإدارة الأمريكية لا تخفي -مثلها مثل ترامب- استخفافها بالمنظمات والأعراف الدولية.

في أول تصريح له كوزير للخارجية ومن الرياض -الخصم العنيد لإيران- قال (مايك بومبيو) وزير الخارجية الجديد أن إيران تعمل على "زعزعة المنطقة، وتدعم الميليشيات والجماعات الارهابية، وتعمل كتاجر سلاح، اذ انها تسلح المتمردين الحوثيين في اليمن، وايران تقوم بحملات قرصنة الكترونية. وتدعم نظام الاسد القاتل". وتابع في ذات التصريح: "على العكس من الادارة السابقة، نحن لا نتجاهل ارهاب ايران الواسع النطاق"[[10]](#endnote-10). من هذه الزاوية يبدو العدوان الأخير على سوريا بمثابة اختبار لردود الأفعال الدولية والإقليمية، وقياس للمدى الذي يمكن أن تذهب إليه واشنطن وحلفائها في التصعيد ضد إيران وحلفائها انطلاقا من اليمن وسوريا وبما يكفل إحراج روسيا ورسم قواعد اللعبة الإقليمية والدولية استنادا إلى تحالف أمريكي-إقليمي يتسم بالعدوانية والحزم.

(5)

**شخصية ترامب وأساليبه غير السوية**

إن حالة الفوضى المدمرة التي تحدثها سياسات وتصريحات (ترامب) هي حالة ملائمة تماما لنزوع شخصيته غير المستقرة نحو الإثارة والمشهدية "الهوليوودية" والتنمر. لم يحدث -ولا يحدث- مع أي رئيس دولة في العالم أن يقيل أحد أركان إدارته من خلال تغريدة على "تويتر" مثلما فعل (ترامب) مع وزير خارجيته (ريك تيلرسون). وهي ليست حادثة معزولة، ولا يحتاج الأمر إلى توثيق لاستخدام ترامب المكثف لتويتر في إدارة شؤون الرئاسة، والعلاقات الخارجية، وإطلاق التهديدات. وقد سبق له أن شغل الرأي العام والصحافة في بعض تغريداته غير المفهومة[[11]](#endnote-11).

في سياق التحضير للضربة ضد سوريا كرر (ترامب) عبر تويتر تهديده بقرب الضربة، وقدم إيحاءات بموعدها تاركا العالم كله يرقب الفعل الاتي. ولا تخلو لغته من حالة إعجاب "بذكاء" و"جمال" السلاح الأمريكي. فقد قال في تغريدته عشية العدوان وهو يتوعد روسيا "صواريخنا قادمة، وستكون جديدة، وجميلة، وذكية"[[12]](#endnote-12). فأي قائد سياسي، بل أي إنسان سوي هذا الذي يمنح صفة الجمال والذكاء لتكنولوجيا الدمار والموت؟ في حقيقة الأمر فإن هذا الرجل يعاني من أعراض لمرض ذهاني خطير ويصعب علاجه، وأعراضه تميز أصحاب جرائم القتل والاغتصاب غير المستقرين ذهنيا بفعل مرض "رُهاب الوهم"[[13]](#endnote-13). هي ذات المشهدية التي في سياقها عرض (ترامب) في مؤتمر صحفي مشترك مع ولي العهد السعودي مستخدما لوحة تصويرية نوعية وحجم صفقات الأسلحة التي سيتم توريدها للسعودية، والتي ظهر فيها مقدار سعادته وهو يعرضها أمام العالم مفندا إياها واحدة واحدة بمئات ملايين الدولارات. في هذا المؤتمر وجه ترامب حديثه لمحمد بن سلمان قائلا" "هذا فستق بالنسبة لكم" (أي أن كل هذه المبالغ بالنسبة للسعودية لا تعني الكثير)، ولم يبد ولي العهد السعودي أقل فرحا ورضا من مضيفه بهذه الصفقة، ولا بنظرة ترامب لبلده (السعودية) باعتبارها مصدرا لإثراء الولايات المتحدة الأمريكية وصناعاتها العسكرية، الأمر الذي ينطوي على قدر فظ من العنصرية والشعور بالتفوق.

يعتبر (دونالد ترامب) أحد أبرز المؤمنين بتفوق العرق الأبيض، وهو ما أبرزته حملته الانتخابية بكل ما حملته من شعبوية وتحريض على المهاجرين الملونين، وعداء للديمقراطية. ففي أوج حملته الانتخابية أعلن ترامب بأنه لن يعترف بالنتيجة إن فازت منافسته هيلاري كلينتون. يمثل عداء هذه الإدارة للمنظمات الدولية امتداد منطقيا لقيم العداء للديمقراطية والاستعلاء من قبل فريق لا يعتد بقيم الديمقراطية بقدر اعتداده بما يمثله من قيم شعبوية تراهن على ملايين "المؤمنين" والذين ضاقوا ذرعا بالديمقراطية الليبرالية. في مستوى أكثر عمقا فإن التقاء السياسات الداخلية مع السلوك الدولي يشيران إلى تبلور نظام شوفيني، الأمر الذي دفع الرئيس السابق إلى التحذير من أن الولايات المتحدة تواجه خطر الوقوع في مسار يفضي إلى فاشية مثل نظام أدولف هتلر.
أظهرت الإدارة الحالية في واشنطن وترامب ذاته درجة غير معهودة من العنصرية والتزمت العرقي. ففي الأزمة التي فجرتها أحداث مدينة "تشارلوتزفيل" قبل بضعة شهور حيث هاجم المتعصبون البيض خصومهم من التقدميين بعنف مروع، وقف ترامب علنا مساندا للبيض من "الكو كلوكس كلان"، والنازيين الجدد وأشباههم. ثمة نقطة التقاء جوهرية هنا بين شوفينية ترامب والبيض المتطرفين وقناعتهم بِسُمو العرق الأبيض، وبين شوفينية الصهيونية، يضاف إلى قناعتهما المسيائية بتمثيلهم للحق، وهناتكمن أحد أهم خلفيات قرار ترامب بشأن مدينة القدس، والتي تضمنتها تبريراته للقرار. بهذه المعاني فإن السياسة الخارجية لإدارة ترامب تجسد حالة من التوافق بين نزوعه الأيديولوجي المتعصب وشخصيته العدائية داخليا، وبين سلوك إدارته على الساحة الدولية وهو ما ينذر بمزيد من السياسات العدائية والمنسجمة مع التوجهات اليمينية المتطرفة في أمريكا والتي تلتقي إلى حد التطابق مع سياسات اللوبي الاسرائيلي.

**خاتمة**

يمكن تلخيص السياسة الخارجية لهذه الإدارة وبخاصة في الشرق الأوسط بوصف عدائي-سلبي[[14]](#endnote-14): فهي من جهة عدوانية بحيث باتت تزيد من اشتعال الصراعات القائمة عبر التدخل المباشر الذي يتسم بتغيير الاستهدافات والخصوم، وبذات الوقت عدم اتخاذ أية سياسات لمعالجة الصراعات المندلعة. أبعد من ذلك فإن توجهات فريق ترامب الجديد باتت تؤسس حالة من الفوضى "غير الخلاقة"، إذا ما استعرنا معكوس ما عرف باسم سياسات "الفوضى الخلاقة" أو "البناءة"[[15]](#endnote-15)التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، وأماكن أخرى في العالم عبر العقود الأخيرة من القرن الماضي، وبخاصة في العراق بعد احتلاله في العام 2003 مما أدخل هذا البلد في حالة من الفوضى والصراعات الطائفية والإثنية والمذهبية.

بخلاف ثلاث جوانب رئيسية تبدو على درجة عالية من الثبات في سياسة الإدارة الأمريكية الحالية، فإن مجمل سياساتها في المنطقة والعالم تتسم بالتأرجح مع درجة عالية من صعوبة التنبؤ بها. هذه القضايا الثلاث هي: سياساتها تجاه القضية الفلسطينية وثباتها على تبني مواقف "اسرائيل"، وليس أدل على ذلك من قرار الاعتراف بالقدس عاصمة للدولة العبرية ونقل سفارة واشنطن إليها؛ العداء لإيران والتنصل من التفاق الننوي معها يشير إلى إصرار الإدارة على سياسات التوتير والتصعيد بخلاف وبالضد من موقف كل حلفاءها والأطراف التي وقعت على الاتفاق؛ وأخيرا الاستمرار في سياساتها في العراق وسوريا والتي يمكن أن تمنح داعش فرصة استغلال الفراغ الذي ستخلفه سياساتها الراهنة وبخاصة إذا سحبت قواتها من شمال شرق سوريا، الأمر الذي يمكن أن يقود إلى حرب إقليمية بين اسرائيل وحلفائها الإقليميين في العالم العربي من جهة، وإيران وحلفائها من جهة ثانية.

1. الهوامش

 لوندون، مارتن (2018). *الرئيس ترامب لا يستطيع إلان الحرب، الكونغرس يستطيع لكن لماذا لا يفعل*. (باللغة الإنجليزية)، TIME

<http://time.com/5245014/president-donald-trump-congress-syria-war-authorization/> [↑](#endnote-ref-1)
2. برونينغر، كيفين (2018). *ترامب يستمر بالدعة لتشريعات جديدة، لكن الكونغرس لا يستجيب*. تقرير لشبكة "سي.أن.بي.سي" باللغة الإنجليزية. الرابط: <https://www.cnbc.com/2018/04/03/trump-congress-dont-expect-big-legislation-in-2018.html> [↑](#endnote-ref-2)
3. روجانسكي، ماثيو (2016). *جورج كينان مازال هو الخبير الروسي الذي تحتاجه أمريكا*. مجلة فورين بوليسي باللغة الإنجليزية،

<http://foreignpolicy.com/2016/12/22/why-george-kennan-is-still-americas-most-relevant-russia-expert-trump-putin-ussr/?utm_content=bufferdb291&utm_medium=social&utm_source=facebook.com&utm_campaign=buffer> [↑](#endnote-ref-3)
4. في كتابه باللغة الإنجليزية المنشور في العام 2015، والموسوم: "هل انتهى القرن الأمريكي" يناقش (جوزيف س. ناي) تلك المقولة الخلافية حول تراجع قوة الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها ***القوة العظمى*** في النظام الدولي. يقول (ناي) بأنه من المخالف للمنطق الاعتقاد بأن أمة ما ستبقى على رأس هرم القوة الدولية للأبد. يعتبر (ناي) بأن قوة الولايات المتحدة تشهد تراجعا نسبيا، وتواجه تحديات من قوى دولية في المجالات المختلفة وبخاصة الاقتصادية مثل الصين، روسيا، أوروبا، واليابان. لكن بالمعايير العسكرية والاقتصادية لا زالت الولايات المتحدة **قوة عظمى بدون "أل" التعريف،** وهو ما يشير -حسب الكاتب- إلى تغيرات في بنية توزيع القوة على المستوى الكوني. في ذات السياق يشير عالم الاقتصاد-السياسي الحاصل على جائزة نوبل (جوزيف ستيغليتس) إلى أن عددا من اللاعبين الدوليين أخذوا يقلصون فجوة القوة الاقتصادية بينهم وبين الولايات المتحدة الأمريكية في العقدين الأخيرين، في إشارة إلى ذات القوى العالمية التي تحدث عنها (ناي). وأضاف (ستيغليتس) بأنه وفق معيار "القدرة الشرائية النتافسية" PPP فإن الصين بدءا من العام 2015 هي الدولة الأكبر في العالم من الزاوية الاقتصادية، رابط المقابلة. <https://www.ineteconomics.org/about/news/2018/times-now-news-america-has-been-afflicted-by-an-ideology-that-doesnt-work-says-joseph-stiglitz> [↑](#endnote-ref-4)
5. ترامب، دونالد (2018). تصريحات، عن وكالة "معا" للأنباء، 25/4/2018 ، <https://www.maannews.net/Content.aspx?id=947275> [↑](#endnote-ref-5)
6. أوباما، باراك (2016). تصريحات في مقابلة مع مجلة أتلانتك باللغة الإنجليزية ، نقلا عن موقع عربي21، <https://arabi21.com/story/894670> [↑](#endnote-ref-6)
7. هانا، جون (2018). *ترامب كان على صواب عندما هاجم سوريا*. مجلة فورين بوليسي باللغة الإنجليزية. الرابط

<http://foreignpolicy.com/2018/04/16/trump-was-right-to-strike-syria/> [↑](#endnote-ref-7)
8. بوتين، فلاديمير (2016). مقابلة صحفية، عن ار. تي للأنباء ، <https://arabic.rt.com/news/850232> [↑](#endnote-ref-8)
9. في مقالة باللغة الإنجليزية في صحيفة نيويورك تايمز نشرها طاقم تحريرها في 10/4/2018 يشير الطاقم إلى تهجم الرئيس على جهات إنفاذ القانون للتغطية على دوره المفترض في عمليات خرق القانون الأمريكي، وبذلك تهديد لأهم أسس الديمقراطية الأمريكية، على حد تعبير الكتاب. المقالة على:

<https://www.nytimes.com/2018/04/10/opinion/trump-michael-cohen-raid.html>?

وفي مقالة ثانية تحذر وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق مادلين أولبرايت من التهديد الذي يشكله ترامب للديمقراطية في أمريكا، بحيث عنونت مقالتها "هل سنوقف ترمب قبل فوات الأوان"، <https://www.nytimes.com/2018/04/06/opinion/sunday/trump-fascism-madeleine-albright.html>

 [↑](#endnote-ref-9)
10. بومبيو، مايك (2018). تصريحات منقولة ةعن جريدة القدس المقدسية. 29/4/2018. الرابط

<http://www.alquds.com/articles/1525018037525430400/> [↑](#endnote-ref-10)
11. وجه ترامب تهديدا صريحا لكوريا الشمالة ولوزير خاجيتها عبر تويتر في 24 سبتمبر 2017 بأنها ستزول من الوجود، مما يعد مخالفا لسيسات تويتر. وفي إحدى تغريداته الليلية في العام 2017 استخدم كلمة "كوفيف" في وصف وسائل الإعلام، الأمر الذي أثار موجة عارمة من التكهنات حول معناها، وما المقصود منها ولم يستطع أحد أن يجد لها معنى في أي قاموس لغوي. [↑](#endnote-ref-11)
12. ترامب، دونالد ( 2018 ). عن موقع شبكة مايكروسوفت، <https://www.msn.com/ar-eg/news/middleeast> [↑](#endnote-ref-12)
13. نقلت صحيفة الإنديبندنت وغيرها من وسائل الإعلام نتائج المؤتمر الذي عقده أكثر من خمسة عشر مختص بارزين في الإمراض النفسية في الولايات المتحدة الأمريكية بكلية الطب في جامعة (يال) العريقة (هي من بين أول عشر جامعات في أمريكا) والذين أجمعوا على أن (دونالد ترامب) يعاني من هذا الرهاب الخطير، مما يستدعي اتخاذ موقف أخلاقي وتحذير الأمريكيين من نتائج أعماله وقراراته،

<https://www.independent.co.uk/news/world-0/donald-trump-dangerous-mental-illness-yale-psychiatrist-conference-us-president-unfit-james-gartner-a7694316.html> [↑](#endnote-ref-13)
14. كاتوليس، بريان (2018). سياسة ترامب العدائية-السلبية في سوريا تهدد بمزيد من الفوضى في الشرق الأوسط. مجلة فورين بوليسي باللغة الانجليزية، , <http://foreignpolicy.com/2018/04/16/trumps-passive-aggressive-syria-policy-risks-creating-more-mayhem-in-the-middle-east/> [↑](#endnote-ref-14)
15. يقف وراء هذه الاستراتيجية مجموعة من الأكاديميين أمثال المستشرق برنارد لويس والمفرك السياسي فؤاد عجمي، والسياسيين من المحافظين في الولايات المتحدة الأمريكية، وتستند على فكرة مفادها بأن حالات الفوضى وعدم الاستقرار تحمل في طياتها فرصة التغيير. اعتمدت هذه الاستراتيجية في إيران في عقد الخمسينات من القرن الماضي، وتم اللجوء إليها بشكل مكثف في عهد إدراة الرئيس جورج بوش (الأب) بغاية إيجا ما يعرف بالشرق الأوسط الكبير من الفوضى التي خلفتها حرب الخليج الثاني 1991. [↑](#endnote-ref-15)